أثر العمل على صاحبه يوم القيامة

الأعمال المتعلقة ببيت المسلم

تأليف
عبد الله بن أحمد بن لمح الخولاني

مكتبة عباد الرحمن
مصر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أثـــر العمل

على صاحبه يوم القيامة

رقم الإيداع / ١٥٥٥٤/٢٠٠٨

أثر العمل

على صاحبه يوم القيامة

جمع وترتيب

عبد الله بن أحمد بن لَمْح الخولاني


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، إمام المتقين، وصفوة الخلق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

اعلم أنَّ الأرض مزرعةٌ، والناس فيها زُرَّاع، وإنما يحصُد الناس ما زرعوا، ويجنُوا ثمارَ ما بذرُوا: يومَ القيامة .

وقد علم الناس بداهة، والعقلاء ضرورة: أنَّ لكلِّ عملٍ نتيجةً، وجزاءً فالنتائج ولائد الكَسْب .

والجزاء من جنس العمل، وما الله يريد ظلما للعباد .

وقد أخبر الله تعالى أنه يؤخر العباد، ويُمْهلهُم إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

*** يوم الحساب:**

وسمّى الله تعالى اليومَ الآخر: يومَ الحسَاب، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وسمّاه: يوَم الدين، كما قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣]، والدِّين: الجزاء والحساب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ وقال: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾، أي: مجزيون محاسبون؟! .

* قال الإمام مسلم رحمه الله:

حدثنا قتيبة بن سعيد وعثمان بن أبي شيبة قالا حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»[(١)].

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة؛ الدالة على ما تضمنَّه هذا الحديث، والمفيدة أن للعمل الذي كان العبد يُلازمه في الدنيا: أثرا كبيرا عليه يومَ القيامة.

فأحببت أن أجمع ما تيسر لي منها.

وفائدته:

- الترغيب في العمل الصالح تحصيلا لفائدته في الآخرة.
- والترهيب والزجر عن العمل الطالح، خوفا من عقوبته في الآخرة.

وأصل الرسالة خُطبة جمعة، ألقيتها إحدى المرات.

وقد اختصرت في هذه الرسالة، ولم أبتغ التطويل، فأذكر العمل الذي جاء النص أن له أثرا على صاحبه على هيئة عنوان، ثم أعقبه بالآية أو الحديث، وفيه بيان لذلك الأثر، ولا أُكثر من التعليق، إلا ما لابد منه، مما ستجده إن شاء الله تعالى.

وأنا أحب من الأخ القارئ أن يتأمل النص ويتدبره، وقد أغرق بعضهم في شرح الواضحات مما أدى إلى تركيز كثير من القراء على الشرح دون التدبر للأصل، ولا سيما ما أمرنا بتدبره وهو الوحي المنزل.

واعلم أنه يأتي في أحاديث «فضائل الأعمال» ما قد يورده عليَّ بعضهم، وفيها مثلا: من فعل كذا فقد وجبت له الجنة، أو لم يجد ريحها، أو وجبت له النار... وليست هذه النصوص بمقصودة لي في الأصل، فإنه قد جمعت

---

(١) مسلم (٢٨٧٨).

مجلدات في «فضائل الأعمال» هي مظان هذه الأدلة، وإنما مقصودي بالأصالة: الأعمال التي تعود على صاحبها بأثر ظاهر، أو بمعنى آخر (حسي)، وقد لا يظهر ذلك إلا بالتأمل، على أني أورد غيره من باب الفائدة، لأنه في الباب في الجملة، وأيضا لم أرد الحصر . والله الموفق .

وجعلت الرسالة في بابين، كل منهما يتضمن فصلين .

الباب الأول: أثر العمل الصالح على صاحبه في الآخرة .

وفصلاه:

الأول: أوصاف عامة .

الثاني: أوصاف خاصة، بأعمال معينة مسمَّاه .

الباب الثاني: أثر المعاصي من الشرك فما دونه على أصحابها يوم القيامة .

وفصلاه: كالفصلين المتقدمين سواء .

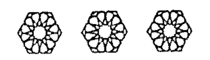
وفي الختام أسأل الله العلي القدير بمنه وفضله أن يغفر لي ولوالدي ولإخواني المسلمين، وأن يلزمني كلمة التقوى، ويختم لي بالحسنى، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

وكتب

عبدُ الله بن أحمد بن لَمْح الخولاني

غرة ربيع الأول/ سنة ١٤٢٧هـ

بدار الحديث بدماج الخير حرسها الله من كل سوء



جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد

قال الإمام ابن القيم رحمه الله(١):

اعلم أنه لابد أن يعود على العبد في المعاد ما كان حاصلا له في الدنيا ولهذا يُسمى يوم الجزاء.

و﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾.

ومن كان مستوحشا مع الله بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد، ومن قرت عينه به في هذه الحياة الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث.

فيموت العبد على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه، **ويعود عليه عمله بعينه فينعم به ظاهرا وباطنا**، فيورثه من الفرح والسرور واللذة والبهجة وقرة العين والنعيم وقوة القلب واستبشاره وحياته وانشراحه واغتباطه ما هو أفضل النعيم وأجله وأطيبه وألذه، وهل النعيم إلا طيب النفس وفرح القلب وسروره وانشراحه واستبشاره.

هذا وينشأ له من أعماله ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه، من سائر المشتهيات التي تشتهيها الأنفس وتلذها الأعين، ويكون تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة بحسب كمال عَمَله، ومتابعته فيه، وإخلاصه وبلوغه مرتبة الإحسان فيه، وبحسب تنوعه: فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في هذه الدار تنوّعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار، وتكثر

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٨٣ - ٨٧).

له بحسب تكثر أعماله هنا، وكان مزيده بتنوعها والابتهاج بها والالتذاذ هناك على حسب مزيده من الأعمال وتنوعه فيها من هذه الدار .

وقد جعل الله سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة **أثرا وجزاء ولذة وألما يخصه لا يشبه أثر الآخر وجزاه** .

ولهذا تنوَّعت لذات أهل الجنة، وآلام أهل النار، وتنوَّع ما فيهما من الطيبات والعقوبات، فليست لذةُ من ضَرَبَ في كل مرضاة لله بسهم، وأخذ منها بنصيب، كلذة من أنمى سهمه ونصيبه في نوع واحد منها.

ولا ألم من ضربَ في كل مسخوط لله بنصيب وعقوبته؛ كألم من ضرب بسهم واحد من مساخطه .

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا .

وهذا الباب يفتح لك أبوابا عظيمة من فهم المعاد وتفاوت الناس في أحواله وما يجري فيه من الأمور:

فمنها: خِفَّة حمل العبد على ظهره وثِقَله إذا قام من قبره، فإنه بحسب خفة وزره وثقله، إن خف: خفَّ، وإن ثقل: ثقل .

ومنها: استظلاله **بظل العرش** أو ضحاؤه للحر والشمس، إن كان له من الأعمال الصالحة الخالصة والإيمان مما يظله في هذه الدار من حر الشرك والمعاصي والظلم؛ استظل **هناك في ظل أعماله تحت عرش الرحمن**، وإن كان ضاحيا هنا للمعاصي والمخالفات والبدع والفجور ضحى هناك للحر الشديد .

ومنها: طول وقوفه في الموقف ومشقته عليه وتهوينه عليه، إن طال وقوفه في الصلاة ليلا ونهارا لله وتحمل لأجله المشاق في مرضاته وطاعته؛ خف عليه الوقوف في ذلك اليوم وسهل عليه، وإن آثر الراحة هنا والدعة والبطالة والنعمة طال عليه الوقوف هناك واشتدت مشقته عليه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ

مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣، ٢٧]، فمن سبح الله ليلا طويلا؛ لم يكن ذلك اليوم ثقيلا عليه بل كان أخف شيء عليه .

ومنها: أن ثِقَل ميزانه هناك بحسب تحمل ثقل عمل الحق في هذه الدار، لا بحسب مجرد كثرة الأعمال، وإنما يثقل الميزان باتباع الحق والصبر عليه، وبذله إذا سئل، وأخذه إذا بذل، كما قال الصديق في وصيته لعمر رضي الله عنهما: «واعلم أن لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وله حق بالنهار لا يقبله بالليل ».

واعلم أنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق، وثقل ذلك عليهم، ولا يمشي أحد إلا في نور نفسه، إن كان له نور مشى في نوره، وإن لم يكن له نور أصلاً لم ينفعه نور غيره، ولما كان المنافق في الدنيا قد حصل له نور ظاهر غير مستمر ولا متصل بباطنه ولا له مادة من الإيمان؛ أُعطي في الآخرة نورا ظاهرا لا مادة له ثم يطفأ عنه أحوج ما كان إليه .

ومنها: أن مشيهم على الصراط في السرعة والبطء، بحسب سرعة سيرهم وبطئهم على صراط الله المستقيم في الدنيا، فأسرعهم سيرا هنا أسرعهم هناك، وأبطأهم هنا أبطأهم هناك، وأشدهم ثباتا على الصراط المستقيم هنا أثبتهم هناك، ومن خطفته كلاليب الشهوات والشبهات والبدع المضلة هنا؛ خطفته الكلاليب التي كأنها شوك السعدان هناك، ويكون تأثير كلاليب الشهوات والشبهات والبدع فيه هاهنا فناج مسلم ومخدوش مسلم ومخردل أي مقطع بالكلاليب مكردس في النار كما أثر فيهم تلك الكلاليب في الدنيا جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد .اهـ .

عرق الناس يوم القيامة على قدر أعمالهم:

* عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «**تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**» - قال سليم بن عامر - أحد الرواة - فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين - قال: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما**» قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[(١)].

* عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] قال: «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»[(٢)].

قلت: فمن كان ينصب ويتصبب عرقه في الدنيا في طاعة الله تعالى؛ هان عليه الأمر يوم القيامة، ومن أخلد إلى الدعة والراحة وملاذ النفوس وقدمها على طاعة الله تعالى؛ أو تصبب عرقه في مساخط الله؛ اشتد عليه الخطب، وعظم عليه الهول يومئذ .

قال القرطبي رحمه الله[(٣)]:

وهذا العرق إنما هو لشدة الضغط، وحر الشمس على الرؤوس بحيث تغلي منها الهام، وحرارة الأنفاس، وحرارة النار المحدقة بأرض المحشر، ولأنها تخرج منها أعناق تلتقط الناس من الموقف، فترشح رطوبة الأبدان من كل إنسان بحسب عمله .

قال: فإن قيل: يلزم أن يكون الناس في مثل بحر من عرق؟ .

قيل: يزول هذا بأوجه. . . وذكرها، ثم قال بعد ذلك:

والله تعالى أعلم بالواقع من هذه الأوجه، والحاصل: أن هذا المقام مقام

---

(١) مسلم (٢٨٦٤) .

(٢) مسلم (٢٨٦٢) .

(٣) المفهم (٧/١٥٦ - ١٥٧) .

هائل، لا تفي بهوله العبارات، ولا تحيط به الأوهام و الإشارات، وأبلغ ما نطق به في ذلك الناطقون: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾. اهـ.

يحشر الناس بحسب أعمالهم:

فالمتقون المراقبون للرقيب الشهيد: يحشرون ﴿وَفْدًا﴾: أي مكرمين راكبين موقَّرين.

والمجرمون المنتهكون الحرمات: يحشرون سَوقًا عطاشا مهانين..

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

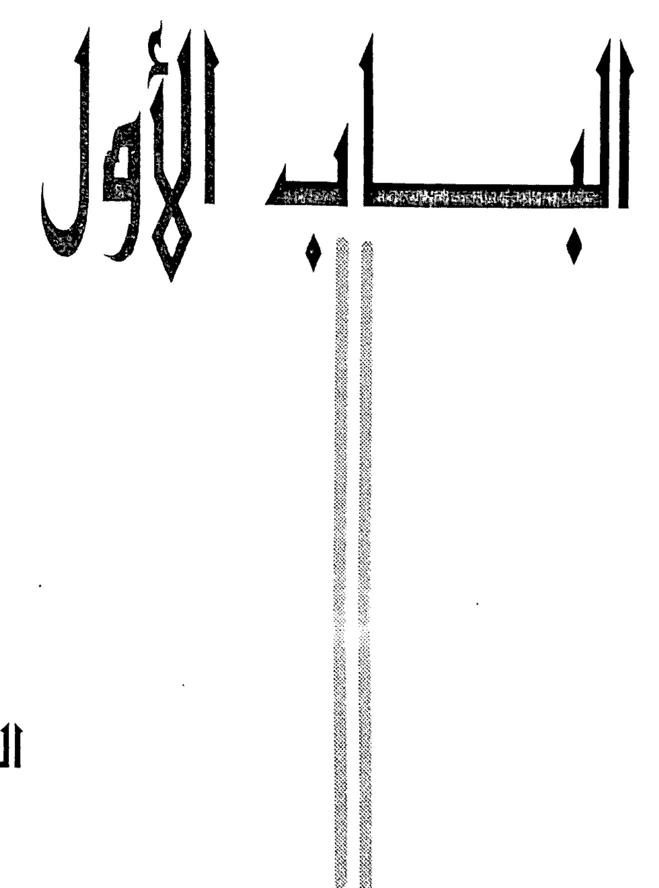
قال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين، الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم، وأطاعوهم فيما أمروهم به، وانتهوا عما عنه زجروهم: أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه. والوفد: هم القادمون ركبانًا[١]، ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور، من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه.

وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم، فإنهم يساقون عنفا إلى النار، ﴿وِرْدًا﴾ عطاشًا، قاله عطاء، وابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد. وهاهنا يقال: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]. اهـ.



(١) قال الشنقيطي رحمه الله: وركوبهم المذكور إنما يكون من المحشر إلى الجنة، أما من القبر فالظاهر أنهم يحشرون مشاة، بدليل حديث ابن عباس الدال على أنهم يحشرون حفاة عراة غرلًا. هذا هو الظاهر وجزم به القرطبي. والله تعالى أعلم اهـ (أضواء البيان /عند الآية)، قلت: وبه جزم الإسماعيلي، وخالف بعضهم، انظر: «البدور السافرة» (٦٩، ٧١).



البـــاب الأول

أثر العمل الصالح على صاحبه في الآخرة



الفصل الأول
أوصـــــاف عامـــة

*** النور للمؤمنين:**

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد - ١٢]

قال ابن كثير رحمه الله[١]:

يخبر تعالى عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال: (على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورا من نوره في إبهامه يَتَّقِد مرة ويطفأ مرة)، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير[٢].اهـ

*** الأمن للمؤمنين من الفزع يومئذ:**

قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل - ٨٩].

قال الشنقيطي رحمه الله[٣]:

دلَّت على معناه آيات من كتاب الله، كقوله تعالى في أمنهم من الفزع ﴿لَا

---

(١) (٤/٤٠٥).

(٢) ابن جرير (٢٢/٣٩٨)، وسنده صحيح.

(٣) أضواء البيان (٦/ ٤٤٥)، ط: عالم الكتب.

يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة﴾ [الأنبياء: ١٠٣] الآية . وقوله تعالى في أمنهم ﴿فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة﴾ [فصلت: ٤٠] الآية .اهـ

قلت: فهذه الآيات الكريمات مصرحة بأن المؤمن يوم القيامة - يوم الأهوال العظام، والشدائد الجسام، والفزع الأكبر - في أمن من ذلك بأمان الله تعالى .

*** بيض وجوه المؤمنين يوم القيامة:**

قال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ [ل عمران - ١٠٦]

قال الإمام القرطبي رحمه الله(١):

يعني يوم القيامة حين يُبعثون من قبورهم تكون وجوه المؤمنين مبيضَّة، ووجوه الكافرين مسودَّة .اهـ .

*** النضرة والسرور:**

قال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ [يونس: ٢٦] .

قال ابن كثير رحمه الله(٢):

أي لا يعتريهم قَتام وسواد في عرصات المحشر، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة، من القترة والغبرة ﴿ولا ذلة﴾ أي: هوان وصَغار، أي لا يحصل لهم إهانة في الباطن ولا في الظاهر، بل هم كما قال تعالى في حقهم: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾ أي: نضرة في وجوههم، وسرورا في قلوبهم، جعلنا الله منهم بفضله ورحمته آمين .اهـ .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٣) ط: دار الكتاب.

(٢) (٢/ ٥٦٢) ط: الريان .

* الأمن من الخوف والحزن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت - ٣٠] .

وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢-٨١] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

قال ابن كثير رحمه الله:

قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه: يعني عند الموت، وقيل: إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم، حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي، وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث رواه ابن أبي حاتم، **وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدا وهو الواقع** .اهـ .



الفصل الثاني

في الأدلة التي تضمنت الإخبار عن الأثر الطيب لبعض الأعمال الصالحة على صاحبها يوم القيامة

ومن ذلك ما يلي:

☆ الخوف من الله تعالى، ومراقبته في السر والعلن

قال الله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥- ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١٠- ١١].

أخبر الله سبحانه في هذه الآيات أنه وقاهم البأس والشدة في ذلك اليوم، وأمَّنهم وأكرمهم وأعطاهم نَضْرة في وجوههم، وسرورا في قلوبهم، فجمع لهم بين النعيم الظاهر والباطن، وكل ذلك مُعَقَّب بالفاء - على خوفهم المتضمن قيامهم بجميع لوازم ذلك الخوف من مراقبة الرقيب الشهيد سبحانه وتعالى.

*** تلاوة القرآن الكريم وحفظه وأثر ذلك:**

*** شفاعته:**

* عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فُرقان من طير صَوَاف تُحاجَّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإنَّ أخذها برَكة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة**»[1].

قال العلماء: معنى هذا الحديث أن صاحب هاتين السورتين في ظل ثوابهما يوم القيامة، حيث يجعله الله شيئا قائما بنفسه[2].

* عن النواس بن سمعان رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**»[3].

*** قوة اليقين، والتوكل والاعتماد على الله تعالى.**

* عن ابن عباس رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى ﷺ وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤).

(٢) انظر «المفهم» (٢/ ٤٣١)، للإمام القرطبي، و«شرح رياض الصالحين» للعلامة ابن عثيمين (٣/ ١٥٩).

(٣) رواه مسلم (٨٠٥).

الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال: بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**» فأخبروه فقال: «**هم الذين لا يرقون**[(١)] **ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة»[(٢)].

وفي رواية للبخاري: «لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

قال الإمام النووي رحمه الله:

فيه: عظم ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبي ﷺ وأمته، زادها الله فضلا وشرفا.

وذكر رحمه الله توجيه العلماء للحديث، ثم قال:

وحاصله: أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله عز وجل فلم يتسببوا في دفع ما أوقعه بهم، ولا شك في فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها، وأما تطبب النبي ﷺ ففعله ليبين لنا الجواز. والله أعلم[(٣)]. اهـ

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٣٤):

زاد مسلم وحده: «ولا يرقون» فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هذه الزيادة وهم من الراوي، لم يقل النبي ﷺ ولا يرقون لأن الراقي محسن إلى أخيه، وقد قال النبي ﷺ وقد سئل عن الرُّقي فقال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه» وقال: «لا بأس بالرقي ما لم يكن شركا»، والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مسقط ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن نافع. اهـ وراجع الفتح لابن حجر (١١/ ٤٩٧)

(٢) رواه البخاري (٥٧٠٥، ٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

(٣) شرح مسلم (عند الرقم المتقدم).

وقال ابن القيم رحمه الله[١]:

وذلك لأن هؤلاء دخلوا الجنة بغير حساب لكمال توحيدهم ولهذا نفى عنهم الاسترقاء وهو سؤال الناس أن يرقوهم ولهذا قال: «وعلى ربهم يتوكلون» فلكمال توكلهم على ربهم وسكونهم إليه وثقتهم به ورضاهم عنه وإنزال حوائجهم به لا يسألون الناس شيئا لا رقية ولا غيرها اهـ .

قلت: وهذا تأويل الخطابي ونقله عن طائفة من السلف، والقاضي، ورجحه النووي، والقرطبي، وجماعة من أهل العلم[٢].

*** الصلاة نور:**

* عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها»**[٣] .

*** نور الماشي إلى المساجد في الظُّلَم:**

* عن بريدة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: **«بشر المشائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»**[٤] .

*** الحاجُّ يبعث ملبيا:**

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل واقف مع رسول الله

---

(١) زاد المعاد (١/ ٤٧٥) .

(٢) انظر أيضا بالإضافة إلى ما تقدم: مجموع الفتاوى (١/ ١٨٢) (١/ ٣٢٨)، حادي الأرواح (٨٩)، المفهم (١/ ٤٦٤ . ٤٦٥) .

(٣) رواه مسلم (٢٢٣) .

(٤) رواه أبو داود (٥٦١) وسنده حسن، وله شواهد، وصححه الألباني رحمه الله .

ﷺ بعرفة إذ وقع من راحلته فوقصته، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمِّروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيا**»[١].

*** الوضوء، وأثره يوم القيامة:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه**»، قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غرا محجلين من أثر الوضوء»[٢].

* عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حوضي لأبعد من إيلة من عدن والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه»، قالوا يا رسول الله وتعرفنا؟ قال: «نعم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم»[٣].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء» «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»[٤].

الغرة: لمعه بيضاء[٥] تكون في جبهة الفرس، و التحجيل: بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، والمراد بها هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ يوم القيامة، وهذا من خصائص هذه الأمة .

---

(١) رواه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦) .

(٢) رواه مسلم (٢٤٧) .

(٣) رواه مسلم (٢٤٨) .

(٤) رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) .

*** تنفيس الكربات عن المؤمنين في الدنيا، والتيسير عليهم، وستر عوراتهم:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»(١).

معنى نفَّس الكربة: أزالها، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسَّر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك، وفيه فضل الستر على المسلمين، والله أعلم.

*** الخصال الموجبة للظلال:**

ذكر الحافظ ابن حجر طرفا طيبا من ذلك، ثم قال: قد أفردته في جزء سميته: «معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال»(٢)، وألَّف السيوطي رحمه الله في ذلك أيضا، وقد ألَّف أيضا غيرُه في هذا.

ومعناه: الأعمال الطيبة الصالحة التي جاء النص بأن صاحبها يوم القيامة - ذلك اليوم الشديد العصيب، الذي تدنو فيه الشمس من الخلائق مقدار ميل - أنَّ صاحب تلك الأعمال في ظل الله تعالى.

ومن أصح ما ورد في ذلك:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في**

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) الفتح (٢/ ١٤٣).

ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[١].

وفي رواية للبخاري: «سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله».

قال الكرماني:

الطاعة إما أن تكون بين العبد وبين الرب أو بينه وبين الخلق، فالأولى باللسان وهو الذكر، أو بالقلب وهو المعلق بالمسجد، أو بالبدن وهو الناشئ في العبادة، والثاني عام وهو العادل، أو خاص بالقلب وهو التحاب، أو بالمال وهو الصدقة، أو بالبدن وهو العفة.

قال النووي: والمراد هنا «ظل العرش» كما جاء في حديث آخر مبينا.

والمراد: يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشمس واشتد عليهم حرها، وأخذهم العرق، ولا ظل هناك لشيء إلا للعرش. اهـ

قلت: وما فسر به النووي رحمه الله الحديث، قد جاء مصرحا به في بعض الأحاديث، منها قوله ﷺ: « **من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»**[٢]، أو يخلق الله تعالى شيئا يظل به من شاء من عباده، كما قاله الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[٣].

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)،قال شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٤٤): وقد صنف مُصَنِّف في نعتهم سماه «اللمعة في أوصاف السبعة». اهـ. قلت: وجمع بعض المعاصرين عليه مجلدين! باسم «ترطيب الأفواه».

(٢) سيأتي تخريجه في (فقرة الوضع عن المعسر)، وهذا هو المعتمد في تفسير الحديث، كما أبانه العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في رسالة له في بيان هذه المسألة، وهي مطبوعة.

(٣) وله على الحديث كلام قوي ومهم، انظر «شرح رياض الصالحين» (١/ ٧٧٥) ط: دار السلام.

*** الصدقة وأثرها:**

في «المسند» من طريق يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس أو قال يحكم بين الناس**».

قال يزيد: وكان أبو الخير لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة أو كذا[(١)].

قال المناوي رحمه الله:

يعني أن المتصدق يُكفى المخاوف ويصير في كنف الله وستره!، يقال أنا في ظل فلان أي في داره وحماه، أو المراد الحقيقة بأن تجسد الصدقة فيصير بها في ظل بخلق الله وإيجاده، كما قيل فيه وفي نظائره المعروفة كذبح الموت ووزن الأعمال ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. اهـ.

قلت: المعتمد الثاني كما تقدم في الذي قبله، والله أعلم.

قال السيوطي رحمه الله[(٢)]:

قيل: الأعمال أعراض؛ فكيف يصح حشرها؟ وتصورها بصورة الأجسام؟

أجاب جماعة: بأن الله تعالى يخلق من ثواب الأعمال أشخاصا ويضعها في الميزان، وكذلك من ثواب قراءة القرآن، ومن ثواب الأعمال السيئة.

والصواب في الجواب خلاف ذلك: وأن الأعمال، وأن المعاني كلها مخلوقة، ولها صور عند الله تعالى، وإن كنا لا نشاهدها ... وفي الصحيح «لما خلق الله الرحم قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة»، فأخبر عنها أنها مخلوقة وقائمة وقائلة، وكل ذلك من صفات الأجسام، ولا يصح فيها التأويل

---

(١) أحمد في المسند (٤/ ١٤٧)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن حبان (٣٣١٠)، وهو في «الصحيح المسند» (٢/ ٢٧) لشيخنا رحمه الله.

(٢) «البدور السافرة» (٩٦ - ٩٧).

المذكور، وقد أفردت جزءا في تحقيق ذلك، وعلى هذا يتخرج حديث ذبح الموت . اهـ .

*** الشهيد في سبيل الله:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كَلْم يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحلهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل**»[١] .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ كَلْم يُكْلمه المسلم في سبيل الله، ثم تكون يوم القيامة كهيئتها إذ طعنت تفجر دما اللون لون دم والعرف عرف المسك**» وقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي**»[٢] .

قال النووي رحمه الله: (الكَلْمُ) هو الجُرْح، ويُكْلم: أي يجرح .

قال الحافظ: والحكمة في كون الدم يأتي يوم القيامة على هيئته: أنه يشهد لصاحبه بفضله، وعلى ظالمه بفعله، وفائدة رائحته الطيبة أن تنتشر في

---

(١) رواه البخاري (٣٦)، ومسلم (١٨٧٦) .

(٢) رواه مسلم (١٨٧٦) .

أهل الموقف إظهارا لفضيلته أيضا، ومن ثم لم يشرع غسل الشهيد في المعركة. اهـ.

*** طلب العلم الشرعي:**

أهل العلم - أعني علم الكتاب والسنة - هم زينة الأرض، وهم ورثة الأنبياء في إقامة الحجة على الخلق.

ويوم القيامة يبعث العالم عالما، تكريما له وتشريفا، وليقيم الحجة أيضا على الكافرين، تبكيتا لهم.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٥- ٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله[1]:

يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضا، فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم يُنْظَروا حتى يُعذَر إليهم. قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في كتاب الأعمال، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: من يوم خلقتم إلى أن بعثتم، ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ اهـ.

قلت: واختلفت عبارات المفسرين في أهل العلم هؤلاء من أي جنس هم؟، فقيل من: الملائكة، وقيل من الإنس، وقيل من الجن!.

---

(١) (٣/ ٥٩٣).

والصواب إطلاق ما أطلق الله، فكل من كان على هذا الوصف فإنه داخل في هذه الآية، كما رجحه جمع من المحققين، قال الشوكاني رحمه الله(١):

ولا مانع من الحمل على الجميع .اهـ .

وبنحوه قال الألوسي رحمه الله(٢) .

وقال الإمام الشنقيطي رحمه الله(٣):

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار إذا بعثوا يوم القيامة، وأقسموا أنهم ما لبثوا غير ساعة يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان، ويدخل فيهم الملائكة، والرسل، والأنبياء، والصالحون: والله لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون .

* وقد جاء من طرق أن النبي ﷺ قال: «**إن العلماء ذا حضروا ربهم عز وجل كان معاذ بين أيديهم رتوة بحجر**»(٤) .قلت: ويحمل هذا والله أعلم على علماء هذه الأمة .

*** الأذان، وأثره:**

* عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: إني أراك تحب الغنم والبادية؛ فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»، قال أبو سعيد سمعته من رسول الله ﷺ(٥) .

---

(١) فتح القدير (٤/ ٣٠٥) .

(٢) روح المعاني (١٢/ ٩١)، وانظر تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥)، ونظم الدرر (١٥/ ١٣١-١٣٢) وتيسير الكريم الرحمن (٥٩٤) .

(٣) أضواء البيان (٦/ ٤٨٩) .

(٤) له طرق حسنه بها الشيخ الألباني، انظر «الصحيحة» (١٠٩١) وقوله «رتوة» أي: رمية، وزنا ومعنى .

(٥) رواه البخاري (٦٠٩) .

* عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة»[١].

وهذا الحديث من أهل العلم من تأوله، وحمله على المجاز، فقيل في معناه: أطول الناس تَشَوُّفًا إلى ما عند الله تعالى، وقيل: أي أنهم رؤساء، والعرب تصف السادة بطول الأعناق، . . . إلى آخر ما ستجده في «المفهم»[٢] للإمام القرطبي رحمه الله.

والصواب حمل الحديث على ظاهره. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[٣]:

إذا بعث الناس فإن المؤذنين يكون لهم ميزة، ليست لغيرهم، وهي أنهم أطول الناس أعناقا، فيُعرفون بذلك تنويها بفضلهم، وإظهارا لشرفهم، لأنهم كانوا يؤذنون ويعلنون بتكبير الله وتوحيده والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، والدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح، يعلنونها من الأماكن العالية، ولهذا كان جزاؤهم من جنس عملهم، أن تعلو رؤوسهم وذلك بإطالة أعناقهم يوم القيامة. اهـ.

*** الكلمة التي ترضي الله، وأثرها:**

* عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله لها بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٣٨٧)

(٢) (٢/ ١٥).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٢٨٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣١٩)، وهو حديث صحيح، انظر «الصحيحة» (٨٨٨)، و«موطأ مالك» (٤/ ٥١٢/ رقم ١٩٩٢) تحقيق الهلالي.

*** الصيام، وما ينتج عنه من خلوف فم الصائم، وأثر ذلك:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه**»[(١)] .

دل هذا الحديث على:

١) أن الصائم يوم القيامة ينبعث منه أطيب من ريح المسك .

قال القاضي:

قيل يجازيه الله تعالى به في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كما أن دم الشهيد يكون ريحه ريح المسك، وقيل يحصل لصاحبه من الثواب أكثر ممن يحصل لصاحب المسك، وقيل رائحته عند ملائكة الله تعالى أطيب من رائحة المسك عندنا وإن كانت رائحة الخلوف عندنا خلافه. والله أعلم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله[(٢)]:

ثم ذكر كلام الشُرَّاح - يعني ابن الصلاح - في معنى طيبِه، وتأويلهم إياه بالثناء على الصائم والرضى بفعله، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة، حتى كأنه قد بورك فيه فهو موكل به؟!، وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك؛ بالثناء على فاعله والرضا بفعله وإخراج اللفظ عن حقيقته؟ وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنى، ثم يدَّعي إرادة ذلك المعنى بلفظ النص، من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١) .

(٢) الوابل الصيب (٦٣ - ٦٩) ط:الفرقان، وانظر أيضا زاد المعاد (٤/ ٢٩٣/ مادة «سواك»)

الذي عيَّنهُ أو احتمال اللغة له، ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت، فإن لم يكن ذلك معلوما بوضع اللفظ لذلك المعنى، أو عرف الشارع ﷺ وعادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى أو تفسيره له به وإلا كانت شهادة باطلة .

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك فمثل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم، ونِسبَة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه، فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعالهم، وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه والعمل الصالح فيرفعه وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا .

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله في الرضا! فإن قال: رضا ليس كرضا المخلوقين، فقولوا: استطابة ليس كاستطابة المخلوقين، وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب .

وذكر رحمه الله أنه وقع نزاع بين الشيخين الفاضلين أبي محمد عز الدين ابن عبد السلام وأبي عمرو ابن الصلاح: في وجود هذه الرائحة من الصائم هل هي في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة، على قولين، وبعد أن ذكر ما استدل به كل واحد، قال:

وفصل النزاع في المسألة أن يقال:

حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم .

وحيث أخبر بأن ذلك حين «يخلُف وحين يُمسون» فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد، فربَّ مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى وبالعكس، فإن الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم، والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد، وصار علانية، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشرإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة.

وقد يقوى العمل ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة .

قال ابن عباس: «إن للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضًا في قلوب الخلق».

وقال عثمان بن عفان: «ما عمل رجل عملا إلا ألبسه الله رداءه إن خيرا فخير وإن شرا فشر».

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيبا فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهوى لا يشم لا هذا ولا هذا بل زكامه يحمله على الإنكار، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .اهـ.

٢) وفي الحديث أن الصائم يفرح يوم لقاء ربه تعالى، بصيامه الذي صامه في الدنيا .

قال النووي رحمه الله:

قال العلماء: أما فرحته عند لقاء ربه فبما يراه من جزائه وتذكر نعمة الله تعالى عليه بتوفيقه لذلك، وأما عند فطره فسببها تمام عبادته. اهـ .

*** سُكنى المدينة والصبر على شدتها، وأثر ذلك:**

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها وقال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنه إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة**»[(١)].

* عن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صبر على لأوائها كنت له شفيعا أوشهيدا يوم القيامة**»[(٢)].

*** الوضع عن المعسر دَينه أو بعضه:**

* عن عبد الله بن أبي قتادة: أن أبا قتادة طلَب غريما له، فتوارى عنه ثم وجده فقال إني معسر فقال آلله؟ قال آلله قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**»[(٣)].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**»[(٤)].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا قال فلقي الله فتجاوز عنه**»[(٥)].

---

(١) رواه مسلم (١٣٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧٧).

(٣) رواه مسلم (١٥٦٣).

(٤) رواه الترمذي (١٣٠٦)، وهو في «الصحيح المسند» (٢/ ٣٢٧).

(٥) رواه البخاري (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢) واللفظ له.

*** المحبة في الله تعالى، وأثرها:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[١].

في هذا الحديث أن المحبة لله تعالى والولاء من أجله سبب من أسباب الظل للعبد يوم القيامة، وقد مضى التعليق على ذلك، والله أعلم.

* عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: «**المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»[٢].

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء! قيل: من هم لعلنا نحبهم؟ قال: «**هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا انتساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس**» ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].

وهذا الحديث واضح في أن ذلك كائن يوم القيامة، وقد جاء مصرحا به في حديث آخر[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣٩٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني رحمه الله، وذكره شيخنا في الصحيح المسند» (٢/ ١٧٣) وقال: صحيح.

(٣) أخرجه ابن حبان (٥٧٣)، وذكره شيخنا رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/ ٤٠٨) وقال: حسن.

(٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه أبو داود (٣٥٢٧) لكنه منقطع، أبو زرعة بن عمرو بن جرير لم يدرك عمر، راجع «أحاديث معلة» (٣١٩).

*** العدل والقسط، وأثره:**

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[١].

و لفظ أحمد: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

قال النووي رحمه الله:

قال القاضي: يحتمل أن يكونوا على منابر حقيقة على ظاهر الحديث، ويحتمل أن يكون كناية عن المنازل الرفيعة اهـ قلت - النووي -: الظاهر الأول، ويكون متضمنا للمنازل الرفيعة فهم على منابر حقيقة ومنازلهم رفيعة. اهـ.

*** رعاية البنات والنفقة عليهن، وأثر ذلك:**

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو [هكذا] - وضم أصابعه**»[٢].

*** الذكر بعد الأذان، وأثره:**

* عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة الفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[٣].

---

(١) مسلم (١٨٢٧)، والنسائي (٣٩٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣١)، ولابن القيم رحمه الله في «تحفة المودود» (٢٢) تعليق طيب، فصل / كراهة التسخط بالبنات، فراجعه إن شئت.

(٣) رواه البخاري (٦١٤).

* عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله[٢]:

هذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة، وأخبر أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله وهو يرجو أن يكون ذلك العبد، وهذه الوسيلة أُمرنا أن نسألها للرسول ﷺ وأخبر أن من سأل له هذه الوسيلة فقد حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لأن الجزاء من جنس العمل فلما دعوا للنبي استحقوا أن يدعوَ هو لهم فإن الشفاعة نوع من الدعاء كما قال: إنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله[٣]:

استشكل بعضهم جعل ذلك - أي الشفاعة - ثوابا لقائل ذلك، مع ما ثبت من أن الشفاعة للمذنبين، وأجيب: بأن له ﷺ شفاعات أخرى، كإدخال الجنة بغير حساب، وكرفع الدرجات، فيُعطى كل أحد ما يناسبه.

ونقل عياض عن بعض شيوخه: أنه كان يرى اختصاص ذلك بمن قاله مخلصا مستحضرا إجلال النبي ﷺ لا من قصد بذلك مجرد الثواب ونحو ذلك! وهو تحكم غير مرضي، ولو كان أخرجَ الغافل اللاهي لكان أشبه اهـ.

*** الشَّيْب، وأثره:**

وهو داخل في هذا الباب لأنه قد جاء الأمر بتركه، فدخوله في العمل من

---

(١) رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) مجموع الفتوى (١/ ٢٠٠).

(٣) فتح الباري (٢/ ١٢٦).

حيث ترك المسلم له وعدم أخذه امتثالٌ للشريعة.

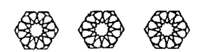
* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاتنتفوا الشيب، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت له نورا يوم القيامة**»[١].

*** إقالة المسلم في بيعه:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أقال مسلما أقال الله عثرته** »[٢]، وفي رواية: «يوم القيامة».

والإقالة في الشرع هي: رفع العقد الواقع بين المتعاقدين، وهي مشروعة إجماعا، قاله في «عون المعبود»[٣]، قال: ومعنى (أقال الله عثرته) أي غفر زلته وخطيئته.

وصورة إقالة البيع: إذا اشترى أحدٌ شيئا من رجل، ثم ندم على اشترائه؛ إما لظهور الغبن فيه، أو لزوال حاجته إليه، أو لانعدام الثمن، فرد المبيع على البائع؛ وقَبِل البائع رده، أزال الله مشقته وعثرته يوم القيامة لأنه إحسان منه على المشتري، لأن البيع كان قد بُتَّ فلا يستطيع المشتري فسخه. انتهى.



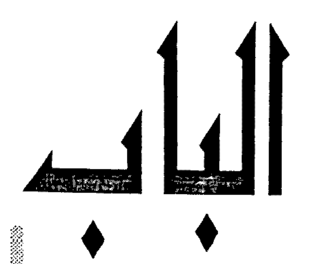
---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٠٢) وسنده حسن، وله شواهد يصح بها، انظر تخريجها في «الصحيحة» (٣/رقم ١٢٤٣ . ١٢٤٤) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٦٠) وأحمد (١٢/ ٤٠١) رسالة، وسنده صحيح وهو في «الصحيح المسند» (٢/ ٣٦٨) .

(٣) (٩/ ٢٣٧/ باب فضل الإقالة) .





أثر المعاصي من الشرك فما دونه على أصحابها يوم القيامة



الفصل الأول
أوصـــــاف عامـــــة

* المعرضون عن الهدى والحق:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٩٧- ٩٨].

قال ابن كثير رحمه الله[1]:

قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا إسماعيل عن نُفَيْع قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قيل: يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «**الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**»[2].

قال: قوله تعالى: ﴿عُمْيًا﴾ أي: لا يبصرون ﴿وَبُكْمًا﴾ يعني: لا ينطقون ﴿وَصُمًّا﴾: لا يسمعون، وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكمًا وعميًا وصمًا عن الحق، فجُوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه!. اهـ.

* أحوال المجرمين:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

---

(١) (٣/ ٩٤).

(٢) المسند (٣/ ١٦٧)، وهو في البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

قال ابن جرير رحمه الله[١]:

يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زُرْقا، فقيل: عنى بالزُّرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين، من الزرق، وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا، كالذي قال الله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله[٢]:

إذا نفخ في الصور خرج الناس من قبورهم، كل على حسب حاله، فالمتقون يحشرون إلى الرحمن وفدا، والمجرمون يحشرون زرقا ألوانهم من الخوف والقلق والعطش. اهـ.

* وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

في هذه الآية يخبر تعالى عن حال المجرمين يوم القيامة، وحالهم حين عاينوا البعث، وأنهم يقومون بين يدي الله حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم من الحياء والخجل، وهذا موقف شديد عصيب، فاللهم سلِّم[٣]. اهـ.

*** ظلمة وسواد وجوه الكذبة على الله تعالى:**

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

قال الألوسي رحمه الله[٤]:

تسوَدُّ وجوهُهم بما ينالهم من الشدة التي تُغير ألوانَهم حقيقة، ولا مانع من أن يجعل سواد الوجوه حقيقة، علامة لهم؛ غير مترتب على ما ينالهم.

---

(١) (١٦/ ١٦١) ط: التركي.

(٢) تيسير الكريم (٤٦٢).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٦١٩).

(٤) روح المعاني (١٣/ ج٢٤/ ٣٠) ط: دار الفكر.

* وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].

قال ابن كثير رحمه الله[1]:

﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾ أي: تعتريهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٤].

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦- ١٠٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨-٤٢].

*** الشرك بالله تعالى، والتجبر في الأرض، والتصوير، وأثر ذلك:**

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين**»[2].

---

(١) (٢/٥٦٢ - ٥٦٣).

(٢) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٥٧٤)، وهو في «الصحيح المسند» (٢/٣٩١).

قال ابن العربي رحمه الله[١]:

قدرة الله متسعة لما ذكر وجوده بجهنم من السمع والبصر والنطق بالعبارات واللسان، وجهنم جسم يحتمل ذلك، ولا تشترط فيه الهيئة، وإنما يأتي ما يشاهد من ذلك على هذه الوتيرة؛ عادة.

وقوله: «وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد»: لما في ذلك من مضرة الخلق، و «بكل كافر»: لما في ذلك من الفساد في الأرض، و «بالمصورين»: لأنهم يضاهون خلق الله، ويتعرضون لمعارضته في تدبيره. اهـ.

*** يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة، وأثر القرين على قرينه:**

قال الله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٤].

قال ابن جرير رحمه الله[٢]:

يقال: احشروا الذين ظلموا، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة. اهـ

وقال الشنقيطي رحمه الله[٣]:

جمهور أهل العلم منهم: عمر وابن عباس، على أن المراد بهم: أشباههم ونظراؤهم، فعابد الوثن مع عابد الوثن، والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني، واليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني، وهكذا، وإطلاق (الأزواج) على الأصناف مشهور في القرآن، وفي كلام العرب كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾، فقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ أي: اجمعوا الظالمين وأشباههم ونظراءهم. اهـ.

---

(١) عارضة الأحوذي (١٠/ ٤٤ - ٤٥).

(٢) تفسيره (٢١/ ٢٧).

(٣) أضواء البيان (٦/ ٦٨١).

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧].

قال ابن جرير رحمه الله[١]:

قيل: أُلحِقَ كلُّ إنسان بشكله، وقُرِن بين الضُّرَباء والأمثال، وقال آخرون: بل عني بذلك أن الأرواح ردّت إلى الأجساد فزوّجت بها.

وأولى التأويلين في ذلك بالصحة، الذي تأوّله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك قول الله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ وذلك لا شكّ الأمثال والأشكال في الخير والشرّ، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ بالقرناء والأمثال في الخير والشرّ. اهـ.

* وفي الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ متى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ: «ما أعددت لها؟»، قال: حب الله ورسوله قال: «أنت مع من أحببت»[٢].

ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: كيف ترى في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[٣].



---

(١) جامع البيان (٢٤/ ١٤١-١٤٥).

(٢) مسلم (٢٦٣٩).

(٣) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (٢٦٤٠).

الفصل الثاني
أوصـــــــاف خاصـة:

*** قُطَّاع الصلاة، ومن يصليها رياء:**

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣-٤٤].

قال ابن كثير رحمه الله[١]:

يعني: يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام. وقد قال البخاري هاهنا: حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن خالد ابن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يَسَار، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يَكشِفُ ربّنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طَبَقًا واحدًا**». وهذا الحديث مخرج في الصحيحين[٢] وفي غيرهما من طرق وله ألفاظ، وهو حديث طويل مشهور.

قال: وقوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، لما دُعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا، كلما أراد أحدهم أن

---

(١) (٤/٥٤١).

(٢) البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (٢٩٤٠)، وانظر الصحيحة (٢/رقم ٥٨٣ . ٥٨٤).

يسجد خرَّ لقفاه! عكس السجود، كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون اهـ.

* **الغفلة عن ذكر الله تعالى، وأثره:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة**»(١).

قال الشيخ الألباني رحمه الله(٢):

دل هذا الحديث الشريف و ما في معناه على وجوب ذكر الله سبحانه و كذا الصلاة على النبي ﷺ في كل مجلس، وقوله: «و إلا قاموا على مثل جيفة حمار» هذا التشبيه يقتضي تقبيح عملهم كل التقبيح، و ما يكون ذلك - إن شاء الله تعالى - إلا فيما هو حرام ظاهر التحريم، فعلى كل مسلم أن يتنبه لذلك، و لا يغفل عن ذكر الله عز و جل، و الصلاة على نبيه ﷺ، في كل مجلس يقعده، و إلا كان عليه تِرَة و حسرة يوم القيامة. اهـ

* **المسألة، وأثرها:**

* عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم**»(٣).

قال القاضي:

قيل معناه يأتي يوم القيامة ذليلا ساقطا لا وجه له عند الله، وقيل هو على ظاهره - فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له، وعلامة له بذنبه؛ حين

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٥٥)، وأحمد (٢/ ٥١٥) وابن حبان (٥٩٠) التعليقات الحسان، وهو في الصحيح المسند (٢/ ٣٥٠).

(٢) السلسلة الصحيحة (١/ ٧٩/رقم ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠).

(٣) رواه البخاري (١٤٧٤) و مسلم (١٠٤٠).

طلب وسأل بوجهه كما جاءت الأحاديث الأُخَر بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي.

وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالا منهيا عنه، وأكثرَ منه، كما في الرواية الأخرى (من سأل تكثرا) والله أعلم.

قلت: وإجراؤه على ظاهره هو الصواب، والله أعلم.

*** الظلم، وأثره:**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٤].

* عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»(١).

* عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٢).

* عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين**»(٣).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يأخذ أحد شبرا من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٧) ومسلم (٢٥٧٨).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٧) و مسلم (٢٥٧٩).

(٣) رواه البخاري (٣١٩٨) ومسلم (١٦١٠).

(٤) رواه مسلم (١٦١١).

* عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من ظلم قيد شبر من الأرض طُوِّقهُ من سبع أرضين**»[١].

قال القرطبي رحمه الله[٢]:

قوله: «فإن الظلم ظلمات..»: ظاهره أن الظالم يعاقب يوم القيامة بأن يكون في ظلمات متوالية، يوم يكون المؤمنون في نور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، حين يقول المنافقون والمنفقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم، فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، وقيل إن معنى الظلمات هنا: الشدائد والأهوال التي يكونون فيها، والأول أظهر. اهـ.

*** الإعانة على الظلم، وأثره:**

* عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ أو دخل ونحن تسعة وبيننا وسادة من أدم فقال: «**إنها ستكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض ومن لم يصدقهم بكذبهم ويعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض**»[٣].

*** الغلول، وأثره:**

قال النووي: قال أبو عبيد: هو الخيانة في الغنيمة خاصة، وقال غيره هي الخيانة في كل شيء.

وقال ابن الأثير: هو الخيانة في المغْنَم والسَّرقَة من الغَنِيمة قبل القِسْمة. يقال: غَلَّ في المَغْنم يَغُلُّ غُلولًا فهو غَالٌّ. وكلُّ مَن خان في شيء خُفْية فقد

---

(١) رواه مسلم (١٦١٢) .

(٢) المفهم (٦/٥٥٦) .

(٣) أخرجه أحمد (٤/٢٤٣)، والترمذي (٢٢٥٩) وهو حديث صحيح، وقد جاء عن جماعة من الصحابة، وانظر «الصحيح المسند» (٢/١٤٨) .

غَلٌّ. وسُمِّيت غُلولًا لأن الأيدِي فيها مَغلولة: أي مَمْنوعة مَجْعُول فيها غُلٌّ وهو الحَدِيدة التي تَجْمَع يَد الأسير إلى عُنُقه[١].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك أيضا في أحاديث متعددة، فمنها:

* عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلا على صدقات بني سليم يُدْعى ابن اللتبية فلما جاء حاسَبه قال: هذا مالكم وهذا هدية!، فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا**»، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر**»[٢].

* عن عدي بن عميرة الكندي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة**»، قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه فقال يا رسول الله اقبل عني عملك قال: «ومالك؟» قال سمعتك تقول كذا وكذا قال: «وأنا أقوله الآن من استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله وكثيره فما أوتي منه أخذ وما نهي عنه انتهى»[٣].

---

(١) وانظر «مفردات الراغب» (٦١٠) ط: دار القلم، و «بصائر ذوي التمييز» (٤/ ١٤٤-١٤٥)، و«صحاح الجوهري» (٤/ ١٤٥٣)ط: التراث.

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٦) ومسلم (١٨٣٢)

(٣) رواه مسلم (١٨٣٣).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظَّمه وعظَّم أمره ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لم شيئا قد أبلغتك»(١).

*** أكل الربا، وأثره:**

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال ابن كثير(٢):

ذكر أَكَلَة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات، فأخبر عنهم يوم

---

(١) رواه البخاري (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١)، و «الرقاع»: جمع رقعة والمراد بها هنا الثياب، وقوله: «صامت» الصامت من المال: الذهب والفضة، والمعنى: أن كل شيء يغله الغال يجيء يوم القيامة حاملا له ليفتضح به على رؤوس الأشهاد، سواء كان هذا المغلول حيوانا أو إنسانا أو ثيابا أو ذهبا وفضة .

(٢) (١/ ٤٥٢) .

خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له؛ وذلك أنه يقوم قياما منكرًا، وقال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا يُخْنَق. رواه ابن أبي حاتم، قال: وروي عن عوف بن مالك، وسعيد بن جبير، والسدي، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان، نحو ذلك. اهـ.

*** أكل أموال الناس بالأيمان الفاجرة، وأثره.**

* عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»، قال فدخل الأشعث ابن قيس فقال: ما يحدثكم أبو عبدالرحمن؟ قالوا: كذا وكذا، قال صدق أبو عبدالرحمن فيَّ نزلت، كان بيني وبين رجل أرض باليمن فخاصمته إلى النبي ﷺ قال: «**هل لك بينة؟**» فقلت: لا، قال: «فيمينه» قلت: إذن يحلف فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان**»، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية»[١].

* عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأتاه رجلان يختصمان في أرض، فقال أحدهما: إن هذا انتزى على أرضي يا رسول الله في الجاهلية - وهو امرؤ القيس بن عابس الكندي، وخصمه ربيعة ابن عبدان - قال: «بينتك» قال: ليس لي بينة، قال: «يمينه» قال: إذن يذهب بها، قال: «ليس لك إلا ذاك» قال فلما قام ليحلف قال رسول الله ﷺ: «**من**

(١) رواه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨).

اقتطع أرضا ظالما لقي الله وهو عليه غضبان»[١].

※ الغَدْر، وأثره:

※ عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فقيل هذه غدرة فلان ابن فلان**»[٢].

※ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به يقال هذه غدرة فلان**»[٣].

※ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة**»[٤].

ومعنى (لكل غادر لواء) أي علامة يشهر بها في الناس.

قال القرطبي رحمه الله:

هذا خطاب منه ﷺ للعرب بنحو ما كانت تفعل، لأنهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء، وللغدر راية سوداء، ليَلُومُوا الغادر ويذموه، فاقتضى الحديث وقوع مثل ذلك للغادر ليشتهر بصفته في القيامة؛ فيذمه أهل الموقف. اهـ[٥].

※ الفُحْش، وأثره:

※ عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة**»، فلما جلس تَطَلَّق النبي ﷺ في

---

(١) رواه مسلم (١٣٩).

(٢) رواه البخاري (٦١٧٨) ومسلم (١٧٣٥).

(٣) رواه البخاري (٣١٨٦) ومسلم (١٧٣٨).

(٤) رواه مسلم (١٧٣٨).

(٥) انظر الفتح (٦/ ٢٨٤) باب: إثم الغادر.

وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت عائشة: يا رسول الله؛ حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلَّقْت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة متى عَهِدتني فحاشا إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»[(١)]

*** البدع، وأثرها:**

ومن أعظم ذلك: أنهم يُصْرَفُون عن الحوض.

قال الدارقطني رحمه الله:

قال علماؤنا: كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به، فهو من المطرودين عن الحوض، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين والروافض والمعتزلة.. على اختلاف فرقهم، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الظلم وطمس الحق، وإذلال أهله، وجماعة أهل الزيغ والبدع. اهـ[(٢)].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا**»، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**»، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٤) ومسلم (٢٥٩١) .

(٢) انظر «البدور السافرة» (٢٣٩) للسيوطي رحمه الله .

(٣) رواه مسلم (٢٤٩) .

* عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ: «**إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فأقول فيم هذا؟ فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا**»[١].

قلت: والأحاديث في هذا المعنى متواترة، والله أعلم[٢].

* ومن أثرها: تحمل سيئات وأوزار وأثقال كالجبال، بإحداثه تلك البدعة أو دعوته إليها ودلالته إليها.

* قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت/ ١٢، ١٣].

فالأثقال التي يحملونها مع أثقالهم هي الذنوب التي بسببهم ومن جرائهم، فالذنب الذي فعله التابع: لكل من التابع والمتبوع حصته منه، هذا لأنه فعله وباشره، والمتبوع لأنه تسبب في فعله ودعا إليه، كما أن الحسنة إذا فعلها التابع له أجرها بالمباشرة، وللداعي أجره بالتسبب[٣].

قال ابن كثير رحمه الله:

هذا إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة، أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم، وأوزارًا أخر بسبب مَنْ أضلوا مِنَ الناس، من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئا. اهـ.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٩٥) .

(٢) انظر رسالة «الطرد والإبعاد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب اليماني حفظه الله .

(٣) انظر تفسير السعدي رحمه الله (آية «١٣» من سورة العنكبوت) .

قال الشنقيطي رحمه الله:

فإن قيل: ما وجه تحملهم بعض أوزار غيرهم المنصوص عليه بقوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾، مع أن الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ويقول ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

فالجواب - والله تعالى أعلم - أن رؤساء الضلال وقادته تحملوا وزرين:

أحدهما: وزر ضلالهم في أنفسهم.

والثاني: وزر إضلالهم غيرهم.

لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً، وإنما أخذ بعمل غيره لأنه هو الذي سنه وتسبب فيه، فعوقب عليه من هذه الجهة لأنه من فعله، فصار غير مناف لقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ الآية.

وفي صحيح مسلم بن الحجاج رحمه الله عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**»[(١)].

وأخرج نحوه أيضاً من حديث أبي هريرة بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**».

(١) مسلم (١٠١٧)، وحديث أبي هريرة عند مسلم برقم (٢٦٧٤).

قال مقيده عفا الله عنه: هذه النصوص الصحيحة تدل على رفع الإشكال بين الآيات، كما تدل على أن جميع حسنات هذه الأمة في صحيفة النَّبي ﷺ، فله مثل أجور جميعهم. لأنه صلوات الله عليه وسلامه هو الذي سن لهم السنن الحسنة جميعها في الإسلام، نرجو الله له الوسيلة والدرجة الرفيعة، وأن يصلي ويسلم عليه أتم صلاة وأزكى سلام. اهـ.

*** إسبال الثوب خيلاء، وأثره:**

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»(١).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا يجر إزاره فجعل يضرب الأرض برجله، فقال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا**»(٢).

*** اللعن، وأثره:**

* عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**»(٣).

قال النووي: فيه الزجر عن اللعن، وأنَّ من تخلَّق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة، لأن اللعنة في الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى، وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والتدابر، وهذا

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٥) و مسلم (٢٠٨٥) .

(٢) رواه البخاري (٥٧٨٨)، و مسلم (٢٠٨٧) .

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٨) .

غاية ما يودُّه المسلم للكافر ويدعو عليه، ولهذا جاء في الحديث الصحيح «لعن المؤمن كقتله»[(١)].

قال: وأما قوله ﷺ: «**إنهم لا يكونون شفعاء ولا شهداء**» فمعناه: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار.

«ولا شهداء» فيه ثلاثة أقوال: أصحها وأشهرها لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات.

والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم.

والثالث: لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله. اهـ.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله معلقا على الحديث:

لأن اللعن إساءة، بل من أبلغ الإساءات، والشفاعة إحسان، فالمسيء في هذه الدار باللعن يسلبه الله الإحسان في الأخرى بالشفاعة، فإن الإنسان إنما يحصد ما يزرع، والإساءة مانعة من الشفاعة التي هي إحسان.

وأما منع اللعن من الشهادة: فإن اللعن عداوة، وهي منافية للشهادة، ولهذا كان النبي ﷺ سيد الشفعاء وشفيع الخلائق لكمال إحسانه، ورأفته ورحمته بهم ﷺ[(٢)] اهـ.

*** ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها رضي وإن لم يعطه منها سخط ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل**» ثم قرأ هذه الآية

(١) رواه البخاري (١٣٦٤) ومسلم (١١٠).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١١٦٧) ت: العمران.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾(١) .

※ عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»(٢) .

※ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر**»(٣) .

※ الرياء، وأثره:

※ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمَّع سمَّع الله به ومن راءَى راءَى الله به**»(٤) .

※ عن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يُسمِّع يسمع الله به ومن يرائي يرائي الله به**»(٥) .

قال الحافظ رحمه الله:

قال الخطابي رحمه الله معناه: من عمل عملا على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جُوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه، وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإنَّ الله يجعله حديثا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له في الآخرة، ومعنى يرائي: يُطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا

---

(١) رواه البخاري (٢٣٥٨)ومسلم (١٠٨) .

(٢) رواه البخاري ( )، ومسلم (١٠٦) .

(٣) رواه مسلم (١٠٧) .

(٤) رواه مسلم (٢٩٨٦) .

(٥) رواه البخاري (٦٤٩٩) و مسلم (٢٩٨٧).

لوجهه، وقيل المراد: من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد وكان ذلك جزاءه على عمله ولا يثاب عليه في الآخرة - قلت: وما ذكره الخطابي يرجع إلى شيء واحد والله أعلم - ثم قال الحافظ: قلتُ وورد في عدة أحاديث التصريح بوقوع ذلك في الآخرة فهو المعتمد اهـ.

*** التجسس، وأثره:**

* عن ابن عباس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**من تحلَّم بحُلم لم يره كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ**»(١).

*** منع الزكاة، وأثره:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»، قيل يا رسول الله فالإبل؟ قال: «**ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافا وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»، قيل يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: «**ولا صاحب بقر ولا غنم يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر**

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٢) والآنك: الرصاص الأسود.

عليه أولادها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، قيل: يا رسول الله فالخيل؟ قال: «الخيل ثلاثة هي لرجل وزر وهي لرجل ستر وهي لرجل أجر، فأما التي هي له وزر: فرجل ربطها رياء و فخرا و نواء على أهل الإسلام فهي له وزر، وأما التي هي له ستر: فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينسى حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر، وأما التي هي له أجر: فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج وروضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ولا تقطع طولها فاستنت شرفا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات» قيل يا رسول الله فالحُمُر؟ قال: «ما أنزل علي في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾»[١].

* عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط وقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها وأخفافها ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بقوائمها ولا صاحب غنم لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لابد منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦٠) و مسلم (٩٨٧) .

(٢) رواه مسلم (٩٨٨) .

* عن أبي ذر رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: «**هم الأخسرون ورب الكعبة**» قال فجئت حتى جلست فلم أتقارَّ أن قمت فقلت يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم؟ قال: «**هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطوؤه بأظلافها كلما نفذت أخراها عادت عليه أولادها حتى يقضى بين الناس**»(١).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آتاه الله مالا فلم يؤدِ زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالُك أنا كنزُك ثم تلا** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾»(٢).

* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا قال: «أيسرك أن يسوِّرك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟» قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ؛ وقالت: هما لله عزوجل ولرسوله!»(٣)

* **عدم القيام بشئون الإمارة، وأثره:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «**ما من أمير عشرة**

---

(١) رواه مسلم (٩٩٠).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود (١٣٣٦)، وسنده حسن.

إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه أطلقه الحق أو أوبقه»[١].

* عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[٢].

قال النووي رحمه الله: هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة: فهو في حق من لم يكن أهلا لها أو كان أهلا ولم يعدل فيها؛ فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه، ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة. اهـ.

* عن معقل بن يسار المزني رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[٣].

وفي رواية: «ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة».

*** ذو الوجهين:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**تجدون من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣١)، والدارمي (٢/ ٣١٣)، وهو حديث صحيح، وصححه الإمامان انظر الصحيحة (٦/ ١/ ٢٦٢١)، والصحيح المسند (٢/ ٣٨٤).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٥).

(٣) البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).

(٤) رواه البخاري (٣٤٩٤) ومسلم (٢٥٢٦) واللفظ للبخاري.

قال النووي رحمه الله:

وأما قوله ﷺ في ذي الوجهين: إنه من شرار الناس فسببه ظاهر؛ لأنه نفاق محض وكذب وخداع وتحيل على اطلاعه على أسرار الطائفتين وهو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها ويظهر لها أنه منها في خير أو شر وهي مداهنة محرمة. اهـ

* عن عمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»[١].

*** خيانة الزوجة، وأكل أموال الناس بالباطل، وأثره:**

* قال الإمام الطبراني رحمه الله:

حدثنا أحمد بن القاسم البرتي ببغداد قال حدثنا محمد بن عباد المكي قال حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم عن أبي خلدة عن ميمون الكردي عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثة حتى بلغ عشر مرار: «أيما رجل تزوج امرأة بما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان، وأيما رجل استدان دينا لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤده لقي الله وهو سارق»[٢].

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٣)، وغيره وهو حسن بشواهده، انظر الصحيحة (٢/رقم ٨٩٢).

(٢) الأوسط (٢/٥٠٦/ ١٨٧٢)، قال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٣٢): رواه الطبراني في الأوسط والصغير، ورجاله ثقات اهـ . قلت: وإليك رجال إسناده:

- أحمد بن القاسم البرتي: هو أبو الحسن الطائي ثقة مترجم في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٥٠).

- محمد بن عباد المكي: ثقة أيضا، وأبو سعيد الهاشمي: هو عبد الرحمن بن عبد الله البصري ثقة.

=

وقال: لا يروى هذا الحديث عن أبي ميمون الكردي إلا سنان تفرد به أبو سعيد مولى بني هاشم. اهـ

*** الترهيب من منع الفضل للمولى، وأثر ذلك:**

* قال الإمام أبو داود رحمه الله:

حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده [معاوية بن حيدة] رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله من أبرّ؟ قال: «أمك ثم أمَّك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب»، وقال رسول الله ﷺ: «**لا يسأل رجل مولاه من فضل هو عنده فيمنعه إياه إلا دعي له يوم القيامة فضله الذي منعه شجاعا أقرع**»(١). قال أبو داود: الأقرع الذي ذهب شعر رأسه من السم.

قال في «عون المعبود»(٢): قوله: «لا يسأل رجل مولاه» أي: معتقه - بفتح التاء - أو المراد بالمولى القريب أي ذو القربى وذو الأرحام والله أعلم، «من فضل» أي المال الفاضل من الحاجة، «فيمنعه إياه» أي: لا يعطي المولى

= - أبو خلدة: هو خالد بن دينار التميمي ثقة.

- ميمون الكردي. ثقة، وقول الحافظ عنه: مقبول؛ غير مقبول، فقد وثقه ابن معين كما في سؤالات ابن الجنيد (٣٧٥) وروى عنه جمع أكثرهم ثقات.

- وأبوه - أبو ميمون الكردي، قيل: اسمه جابان -: السند إليه صحيح، وقد صرح بسماعه من النبي ﷺ، وذكره في الصحابة أبو نعيم كما في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٠٣١) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٦/ ٣٤) وغيرهما، فالحديث صحيح والحمد لله.

وله شاهد عن أبي هريرة: أخرجه البزار كما في «المختصر» (١/ ٥٢٧) والكشف (١٤٣٠) وسنده ضعيف، وجاء من حديث صهيب: أخرجه الطبراني في «الكبير» وفي سنده متروك، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٥٥٤) اهـ.

(١) (٥١٣٩)، وسنده حسن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

(٢) (١٤/ ٣٣).

الفضل «شجاعا أقرع» قال الخطابي: الشجاع: الحية، والأقرع: هو الذي انحسر الشعر من رأسه من كثرة سُمِّه. اهـ

*** قذف المملوك البريء، وأثره:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قذف مملوكه بالزنى يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال**»[١].

وفي رواية للبخاري: «**من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال**».

قال النووي رحمه الله:

فيه إشارة إلى أنه لا حد على قاذف العبد في الدنيا وهذا مجمع عليه، لكن يعزر قاذفه لأن العبد ليس بمحصن، وسواء في هذا كله من هو كامل الرق وليس فيه سبب حرية والمدبر والمكاتب وأم الولد ومن بعضه حر، هذا في حكم الدنيا أما في حكم الآخرة فيستوفي له الحد من قاذفه لاستواء الأحرار والعبيد في الآخرة.

*** عدم العدل بين الزوجات، وأثره:**

قال الإمام الترمذي رحمه الله:

* حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط**»[٢]

قال الطيبي في شرح قوله «وشقه ساقط»: أي نصفه مائل قيل بحيث يراه

---

(١) رواه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٦٦٠) .

(٢) (١١٤١)، وأبو داود (٣١٣٣)، وسنده صحيح، لكنه معل، فقد خالف هماما: هشام الدستوائي، وسعيد بن أبي عروبة، فروياه عن قتادة قال: كان يقال . . ، قال: الترمذي: وحديث همام أشبه، وهو ثقة حافظ اهـ قال شيخنا رحمه الله في أحاديث معلة (٤٠٧): بل يعتبر شاذا، فإن كل واحد منهما أثبت منه في قتادة، والله أعلم اهـ فأبقيه للفائدة، وانظر «التلخيص» (٣/ ٤٠٧)، والإرواء (٧/ رقم ٢١٠٧) .

أهل العرصات ليكون هذا زيادة في التعذيب، وهذا الحكم غير مقصور على امرأتين، فإنه لو كانت ثلاث أو أربع كان السقوط ثابتا.اهـ[(١)]

*** بيع الحر والغدر وخيانة الأجير، وأثر ذلك:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره**»[(٢)].

قال الحافظ:

زاد ابن خزيمة وابن حبان والإسماعيلي في هذا الحديث: «ومن كنت خصمه خصمته»، قال ابن التين: هو سبحانه وتعالى خصم لجميع الظالمين إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح.اهـ

*** النساء الكاسيات:**

* عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «**سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن أيقظوا صواحبات الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»[(٣)].

قال الحافظ رحمه الله:

واختلف في المراد بقوله «كاسية وعارية»، على أوجه:

أحدها: كاسية في الدنيا بالثياب لوجود الغنى عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا.

ثانيها: كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها فتعاقب في الآخرة بالعري جزاء على ذلك.

---

(١) تحفة الأحوذي (٤ / ٢٤٨).

(٢) رواه البخاري (٢٢٢٧).

(٣) رواه البخاري (٧٠٦٩).

ثالثها: كاسية من نعم الله عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب.

رابعها: كاسية جسدها لكنها تشد خمارها من ورائها فيبدو صدرها فتصير عارية فتعاقب في الآخرة. أهـ.

*** بناء المساجد على القبور، وأثره:**

* عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[(١)].

*** النياحة، وأثرها:**

* عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال: النائحة إذا لم تَتُب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»[(٢)].

قال النووي رحمه الله:

فيه دليل على تحريم النياحة، وهو مجمع عليه لأنه مهيج للحزن ورافع للصبر وفيه مخالفة التسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى. أهـ.

*** إفشاء سر المرأة:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضى إليه ثم

---

(١) رواه البخاري (٤٢٧) و مسلم (٥٢٨).

(٢) رواه مسلم (٩٣٤) ودرع المرأةِ: قميصُها، كما في «النهاية» (٣٠٣) ط: ابن الجوزي.

ينشر سرها»[١].

قال النووي رحمه الله:

في هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجرى بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجرى من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه لأنه خلاف المروءة. اهـ

*** الخروج عن الطاعة:**

* عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٢].

قال القرطبي رحمه الله[٣]:

قوله: «لا حجة له»: أي لا يجد حجة يحتج بها عند السؤال، فيستحق العذاب والنكال، لأن رسول الله ﷺ قد أبلغه ما أمره الله بإبلاغه من وجوب السمع والطاعة، لأولي الأمر اهـ.

*** التعدي على محارم المجاهدين:**

* عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم؟!»**[٤].

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٧)، وهو من طريق عمر بن حمزة، والأكثر على ضعفه، وقد عدَّ الذهبي هذا الحديث من مناكيره، وراجع «آداب الزفاف» (١٤٣)، والله أعلم.

(٢) رواه مسلم (١٨٥١).

(٣) «المفهم» (٤/ ٦٢).

(٤) رواه مسلم (١٨٩٧).

قال النووي رحمه الله: هذا فيه شيئان:

أحدهما: تحريم التعرض لهن بريبة من نظرٍ محرَّم، وخَلْوة وحديثٍ محرَّم وغير ذلك.

والثاني: في برهن والإحسان إليهن وقضاء حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة ولا يتوصل بها إلى ريبة ونحوها، وقوله: «فما ظنكم» معناه: ما تظنون في رغبته في أخذ حسناته والاستكثار منها في ذلك المقام، أي: لا يُبقي منها شيئا إن أمكنه والله أعلم.اهـ

*** التسمي بملك الأملاك؟:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله**»(١)

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: سألت أبا عمرو عن «أخنع»، فقال: أَوْضَع، و معناه أشد ذُلًا وصَغارا يوم القيامة.

*** التعدي على أعراض وأموال المسلمين:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»(٢).

قال القرطبي رحمه الله:

قوله: «المفلس من يأتي..»: أي هذا أحق باسم المفلس، إذ تؤخذ من

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٥) و مسلم (٢١٤٣) وفي رواية «إن أخنع».

(٢) رواه مسلم (٢٥٨١) .

أعماله التي تعب في تصحيحها بشروطها حتى قُبلت منه، فلما كان وقت فقره إليها أُخذت منه، ثم طرح في النار، فلا إفلاس أعظم من هذا، ولا أخسر صفقة ممن هذا حاله، ففيه ما يدل على وجوب السعي في التخلص من حقوق الناس في الدنيا بكل ممكن والاجتهاد في ذلك[١] اهـ.

* **البصق تجاه القبلة:**

* عن حذيفة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: « **من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة تفله بين عينيه** »[٢].

وللعلماء في هذا الحديث تفسيران مشهوران:

الأول: أن هذا الحديث مطلق؛ مقيد بالأحاديث المقيدة ذلك بحالة الصلاة

قال ابن رجب رحمه الله[٣]:

وإنما يكره البصاق إلى القبلة في الصلاة، أو في المسجد، فأما من بصق إلى القبلة في غير مسجد فلا يكره له ذلك اهـ.

الثاني: المنع من ذلك مطلقا.

قال الشيخ الألباني[٤]:

في الحديث دلالة على تحريم البصاق إلى القبلة مطلقا، سواء ذلك في المسجد أو في غيره، وعلى المصلي وغيره، كما قال الصنعاني في «سبل السلام» (١/ ٢٣٠). قال: وقد جزم النووي بالمنع في كل حالة داخل الصلاة وخارجها وفي المسجد أو غيره. اهـ. قلت: وهو الصواب، والأحاديث

(١) «المفهم» (٦/ ٥٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٢٤) و ابن حبان في صحيحه (٣٣٢) بسند صحيح.

(٣) انظر لهذه المسألة: رسالة «فتح الوهاب» لشيخنا يحيى الحجوري حفظه الله.

(٤) الصحيحة (رقم ٢٢٢).

الواردة في النهي عن البصق في الصلاة تجاه القبلة كثيرة مشهورة في الصحيحين وغيرها، وإنما آثرت هذا دون غيره، لعزته وقلة من أحاط علمه به. ولأن فيه أدبا رفيعا مع الكعبة المشرفة، طالما غفل عنه كثير من الخاصة، فضلا عن العامة، فكم رأيت في أئمة المساجد من يبصق إلى القبلة من نافذة المسجد!. اهـ.

قلت: التفسير الأول أقرب عندي، والله تعالى أعلم.

*** التكبر، وكيف يحشر المتكبرون:**

* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: عن النبي ﷺ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**»[1].

قوله ﷺ: «أمثال الذر»: وفي هذا غاية الذل والحقارة، وقد حمله بعضهم على المجاز، والصواب حمله على ظاهره، ولا يلزم أن يستغرق ذلك يوم القيامة كله، فإنه أحوال شتى، وبذا يجمع العلماء بين الأدلة الواردة عن أحوال الناس يوم المحشر والمتعارضة في الظاهر.

وقوله «في صور الرجال »: أي صورهم صور إنسان، وجثتهم كجثة الذر في الصغر، والمعنى أنهم يكونون في غاية المذلة والنقيصة، يطؤهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله تعالى.

وقوله «نار الأنيار»: الأنيار: جمع نار، أي نار النيران، قال القاضي: إضافة النار إليها للمبالغة، كأن هذه النار لفرط إحراقها، وشدة حرها، تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٢) و البخاري في الأدب المفرد (٥٥٧/ صحيحه ٢٠٩)، وغيرهما، وسنده حسن

وقوله «عصارة أهل النار»: أي صديدهم المنتن، و«طينة الخبال»: هو اسم عصارة أهل النار، وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم[١]. اهـ.

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان**»[٢].

*** الثرثرة، والتشدُّق:**

* عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**» قالوا يا رسول الله؛ قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[٣].

قال الترمذي: والثرثار: هو الكثير الكلام.

والمتشدق: الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم. اهـ

قال ابن العربي رحمه الله[٤]:

«المتفيهق»: اشتقاقه من (فهق الوادي) إذا امتلأ، وكأن هذا امتلأ كبرا، ولهذا استطال على الناس لسانه واستحقاره اهـ.

*** لبس ثوب الشهرة، وأثره:**

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارا**»[٥].

---

(١) انظر «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٨٣٣ ـ ٨٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١١٨)، والبخاري في «الأدب» (١٩٣)، وهو في «الصحيح المسند» (١/ ٥٧٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) وسنده حسن، وانظر الصحيحة (٧٩١).

(٤) عارضة الأحوذي (٨/ ١٦٧).

(٥) حديث حسن لغيره، له طرق هو بها صالح إن شاء الله، أخرجه أحمد (٢/ ٩٢)، و أبو داود (٤٠٢٩)، و ابن ماجه (٣٦٠٧)، والنسائي في الكبرى (٩٥٦٠)، و غيرهم، ولي في تحقيقه رواية ودراية، رسالة مستقلة، والحمد لله.

في هذا الحديث أن من لبس ثوب الشهرة ألبسه الله يوم القيامة -- التي هي دار الجزاء وكشف الغطاء - ثوب مذلة.

وثوب الشهرة هو: كل ثوب يقصد به الاشتهار بين الناس، سواء كان ثوبا نفيسا يلبسه افتخارا وتعاليا، أو كان ثوبا رديا يلبسه إظهارا للزهد والرياء.

قال الشوكاني رحمه الله[١]:

قال ابن الأثير: الشهرة ظهور الشيء والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ويختال عليهم بالعجب والتكبر.

قال: والمراد بقوله «ثوب مذلة»: يوجب ذلته يوم القيامة كما لبس في الدنيا ثوبا يتعزز به على الناس ويترفع به عليهم.

قال ابن رسلان: لأنه لبس الشهرة في الدنيا ليعز به ويفتخر على غيره ويلبسه الله يوم القيامة ثوبا يشتهر بمذلته واحتقاره بينهم عقوبة له والعقوبة من جنس العمل انتهى

والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة وليس هذا الحديث مختصا بنفيس الثياب بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه، وإذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها والموافق لملبوس الناس والمخالف لأن التحريم يدور مع الاشتهار والمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع. اهـ

*** الكلام الذي يسخط الله تعالى، وأثره:**

* عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما**

---

(١) نيل الأوطار (٢/١١١).

بلغت فيكتب الله لها بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه»[(١)].

قال ابن رجب رحمه الله[(٢)]:

من هنا يُعلم أن ما ليس بخير من الكلام فالسكوت عنه أفضل من التكلم به، اللهم إلا ما تدعو إليه الحاجة مما لا بد منه.

وقد روي عن ابن مسعود أنه قال: «إياكم وفضول الكلام حسب امريء ما بلغ به حاجته»

وعن النخعي قال: «يهلك الناس في فضول المال والكلام».

وقال عمر رضي الله عنه: «من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به».

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويقول: «هذا أوردني الموارد».

وقال ابن مسعود: «والله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض أحق بطول سجن من اللسان» وقال وهب بن منبه: «أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت».

قال: وهذا باب يطول استقصاؤه والمقصود أن النبي ﷺ أمر بالكلام بالخير والسكوت عما ليس بخير. اهـ.

*** كتم العلم، وأثره:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»**[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٩)، وهو حديث صحيح، انظر «الصحيحة» (٨٨٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٣٥ ـ ١٣٦).

(٣) أخرجه و أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وسنده صحيح وهو في «الصحيح المسند» (١/ ٦١٥)

قال ابن العربي رحمه الله[١]:

هذا محمول على أن يعدم ذلك العلم إن لم يظهره، أو يقع السائل في أحموقة إن لم يخبره، أو تفوته به منفعة إن لم يبذله اهـ.

وقال الخطابي رحمه الله[٢]:

الممسك عن الكلام مُمثَّل بمن ألجم نفسه، فإذا ألجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار به يعاقب في الآخرة بلجام من نار وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة الذنب.

قال: وهذا في العلم الذي يتعين عليه فرضه، كمن رأى كافرا يريد الإسلام يقول علموني الإسلام وما الدين؟ وكيف أصلي؟، وكمن جاء مستفتيا في حلال أو حرام، فإنه يلزم في مثل هذا أن لا يمنعوا الجواب عما سُئلوا عنه، ويترتب عليه الوعيد والعقوبة، وليس الأمر كذلك في نوافل العلم الذي لا ضرورة للناس إلى معرفتها اهـ.

وهذا آخر ما تيسر لي جمعه، وأسأل الله التوفيق والسداد، والنجاة يوم المعاد.

والحمد لله رب العالمين.



---

(١) «عارضة الأحوذي» (١٠/ ١١٨).

(٢) «معالم السنن» (٤/ ١٧١)، وانظر «عون المعبود» (١٠/ ٦٦).

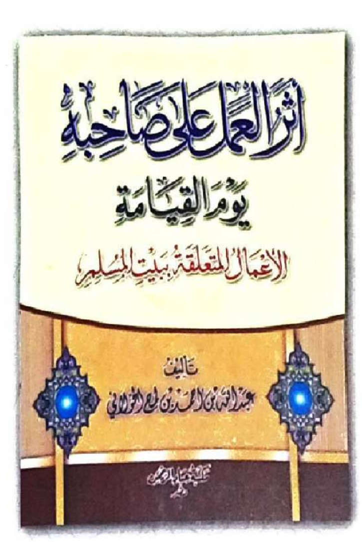


الفهرس





رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



أثر العمل على صاحبه يوم القيامة